المحاضره الخامسة عشره

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ "

قـــال الشيـخ :-

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بســــــم الله الرحمـــــن الرحيـــــم
الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته والتابعيان لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، أمَّـــا بعدُ :

نستكمل بحول الله وقوته مدارسةَ شرح كتاب التوحيد " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه " .

وصلنا بحول الله وقوته إلى الكلام على باب " الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله "

قـــال بابُ الدعاءِ إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقولُ اللهِ تعالــى :

" قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي "

وعن بن عباسٍ رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بعث معاذاً إلى اليمنِ قال إنك تأتي قومــاً من أهلِ الكتاب فَلْيَكُن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وفي روايةٍ (إلى أن يوحدوا الله) فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقَةً تُأخذُ من أغنيائهم فَتُرَدُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ،واتقي دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ .   (أخرَجــاه)

ولهما عن سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ خَيبَرَ لأُعطيَّنَّ الرايةَ غداً رَجُـلاً يُحِبُ الله ورسولَه ويُحِبُهُ اللهُ ورسولُه ، يفتحُ اللهُ على يديه فبات الناسُ يدوكون ليلتهُم أيهم يُعطَاها ، فلما أصبحوا غَدَوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كلهُم يرجوا أن يُعطاها ، فقـــال أين عليُ بنُ أبي طالب فقيل هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأُتيَ به فبَصَقَ في عينيه ودعا له فَبرأَ كأن لم يكُن به وجعٌ فأعطاهُ الرايه فقال انفُذ على رِسلِك حتى تنزل بساحَتهم ثم ادعوهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِ الله تعالى فيهم ، فوالله لأن يهديَ اللهُ بك رَجُـلاً واحداً خيرٌ لك من حُمرِ النِعم .

قولهم (يَدوكون) ← أي يخوضون

قـــال الإمام فيه مسائل :-

الأولـى :- أن الدعوةَ إلى الله تعالى طريقُ من اتبعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

الثانيـه :- التنبيهُ على الإخلاص لأن كثيراً من الناسِ لو دعا إلى الحقِ فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثه :- أن البصيرةَ من الفرائض .

الرابعه :- من دلائلِ حُسن التوحيد : أنه تنزيه الله تعالــى عن المسبَّه .

الخامسه :- أن من قبح الشرك كونه مسَبّة لله .

السادسه :- وهي من أهمها : إبعادُ المسلمِ عن المشركين لئـلا يصيرَ منهم ، ولو لم يُشرِك .

السابعه :- كون التوحيد أولُ واجب .

الثامنه :- أن يُبدأ به قبلَ كلِ شيءٍ ، حتي الصلاه .

التاسعه :- أن معنى " أن يوحدوا الله " معنى شهادة أن لا إلـه إلا الله .

العاشره :- أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ، أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشره :- التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانيةَ عشره :- البَـداءه بالأهـم فالأَهـم .

الثالثة عشره :- مَصرِفُ الزكـــاه .

الرابعة عشره :- كشفُ العالمِ الشُبهةَ عن المتَعلِم .

الخامسةَ عشره :- النهيُ عن كرائمِ الأموال .

السادسة عشره :- إتقاء دعوةُ المظلوم .

السابعة عشره :- الإخبارُ بأنها لا تُحجب .

الثامنةَ عشره :- من أدلةِ التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقه والجوع والوباء .

التاسعةَ عشره :- قوله " لأُعطيَّن الرايه ... إلخ " عَلـمٌ من أعلام النبوه .

العشرون :- تَفلُـهُ في عينيه عَلَمٌ من أعلامها أيضاً .

الحادية والعشرون :- فضيلة علي رضي الله عنه .

الثانية والعشرون :- فضلُ الصحابةِ في دوكهم تلك الليله وشُغلهم عن بِشارة الفتح .

الثالثة والعشرون :- الإيمانُ بالقدرِ ، لحصولها لمن لم يسعَ لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون :- الأدب في قوله " على رسلِك " .

الخامسةُ والعشرون :- الدعوه إلى الإسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون :- أنه مشروعٌ لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون :- الدعوه بالحكمةِ لقوله " أخبرهم بمايجبُ " .

الثامنة والعشرون :- المعَرِفَـةُ بحقِ الله في الإسلام .

التاسعةُ والعشرون :- ثوابُ من اهتدى على يديه رجلٌ واحد .

الثلاثون :- الحَلِفُ على الفُتيـا .

– قــال (الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ)هنا باب " الدعاء إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله "

وقولِ اللهِ :-

" قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي "

تعليق الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله :

يقــول لمَّـا ذكرَ المُصَنِف (الشيخ بن عبد الوهاب) رحمه الله التوحيدَ وفضلَه وما يوجِبُ الخوف من ضدهِ (وهو الشرك) نَبَـهَ بهذه الترجمه على أنه لا ينبغي على من عرَفَ ذلك أن يقتصرَ على نفسه .

قــال الشيخ :

أن المصنف نبه بهذه الترجمه " بابُ الدعاءِ إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله " فإن كنت من أهلها فلا بد أن تكونَ داعيــاً إليها ، وكلما تحققت بهذه الشهاده ، كلما تحركت للدعوةِ إليها وتعبيدِ الناسِ لله سبحانه وتعالــى ، وعلى قدرِ تحققك بدعوة التوحيد على قدرِ عملك لها .

" إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين مقامك "

– يقول أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصرَ على نفسه (أي عرف التوحيد وفضل التوحيد وما يوجِبُ الخوفَ من ضِدهِ)

بل يجبُ عليه أن يدعوَ إلى الله تعالى بالحكمةِ والموعظةِ الحسنه كما هو سبيلُ المرسلينَ وأتباعِهم كما قال الحسنُ البصري رحمه الله وطيب ثراه لما قرأ قولَ الله عزَّ وجـلَّ " ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين "

معنى الآيه (لا أحدَ أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله).

فقال الإمام (الحسن البصري) في فضل الداعيه (هذا حبيبُ الله ،هذا وليُ الله ، هذا صفوةُ الله ،هذا خِيرةُ الله، هذا أحبُ أهلِ الأرضِ إلى الله أجاب اللهَ في دعوته ودعا الناسَ إلى ما أجاب اللهَ فيه من دعوته ، وعَمِلَ صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين ، هذا خليفةُ الله) .

قــال رحمه الله وطيب ثراه بابُ قوله تعالى " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحانَ اللَّهِ وما أنا مِنَ المُشْرِكِينَ"

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري شيخُ المفسرين رحمه الله يقولُ تعالى ذكرُهُ لنبيهِ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم قُل يا مُحَمَّد هذه الدعوه التي أدعو إليها والطريقه التي أنا عليها من الدعاءِ إلى التوحيد ، توحيد الله وإخلاص العِبادةِ له دون الآلهةِ والأوثان والإنتهاءِ إلى طاعته وترك معصيته .

فتكون (هذه) ← تدل على الطريق وهي طريق الانبياء الذين سبقوا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدعاءِ إليها

فتكون الإشاره في (هذه) إلى أحد موضعين إما ما ذُكِرَ من أول السوره (سورة يوسف) حتى " قل هذه سبيلي "

وإما من أول القرءان حتى موضع " قل هذه سبيلي " وإما من أول القضيه التي نوقشت في مسألة التوحيد فيما يتعلق بقصةِ سورةِ يوسُف عليه وعلى نبينا الصلاةُ والسلام .

قال قل هذه الدعوه التي أدعو إليها والطريقه التي أنا عليها (لان كل الأنبياء دعوا إلى التوحيد ولكن طرائق الأنبياء اختلفت وكذلك مفردات العباده لكل نبي قال تعالى " لكلٍ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجا " وكذلك صفة الصلاه الداخليه ،وعدد الركعات ومواقيت الصلاه والقبله التي يستقبلها ، الركوع والسجود ، ترتيب أبعاض الصلاه ،ولكنهم يُصَلون جميعاً توحيداً لله وكذلك الصيام قاسم مشترك بين جميع الأنبياء ولكن صفة المُفَطِّرات وأوقات الفطر والساعات المطلوبه والشهر المعين للصيام يختلف من نبيٍ إلى نبي ، وكذلك صفة

الزكاه الواجبه في الأموال ، وكذلك صفة الحَج هي الكعبه ولكن الميقات والمناسك والتفاصيل تختلف من نبي إلى نبي) .

قال والانتهاءُ إلى التوحيد وإخلاص العبادةِ له دون الآلهة والأوثان والانتهاءُ إلى طاعته وتركُ معصيته ، كل هذا سبيلي وطريقي ودعوتي ، أدعو إلى الله تعالى وحده لا شريك له على بصيرةٍ بالحكمة والموعظةِ الحسنة .

على بصيرةٍ ← أي على بصيرةٍ بذلك التفصيل (ويقصد بالبصيره هي العلم في الطريق).

وقد بَوَّبَ الإمام البخاري رحمه الله تعالــى كما يحفظُ صغيرُنا كبيرُنا هذا المعنى " بابُ العلم قبل القولِ والعمل " لقولِ الله عزَّ وجلَّ

" فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك "

قــال أدعو إلى الله تعالــى وحده لا شريك له على بصيرةٍ بذلك ويقينٍ وعلمٍ مني أنا به ومن يدعو به على بصيرةٍ أيضاً ممن اتبعني وصدقني وآمنَ بي وسبحان الله ،

يقولُ تعالــى ذِكرُهُ : وقل تنزيهاً لله تعالــى وتعظيماً له من أن يكون له شريكاً في ملكه أو معبودٍ سواهُ في سلطانهِ وما أنا من المشركين ،

يقول وأنا برئٌ من أهل الشركِ بهِ ، لستُ منهم ولا هم مني .   أ/هـ

(وهذه إشاره إلى المسأله التي قال فيها الشيخ ابن عبد الوهاب في أُخرياتِ مسائلِ الباب وفيهِ أن إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يكونَ منهم وإن لم يُشرِك وهي البراءةُ منهم ، لأن من أصول التوحيد البراءةُ من المشركين ، فلا بد أن تبتعد عن عقائدهم وأفكارهم وكفرياتهم وشركياتهم وهذا واجبٌ عليك أن تفاصل على هذه العقيده على أن الا تكون منهم ولو لم تُشرك ، وهذا منطلق من منطلقات دعوة التوحيد) .

نقل الإمام عن ابن القيم :-

قال في شرح المنازل (منازل السائلين إلى ربِ العالمين للإمام الهَرَوي رحمه الله تعالى)

قــال (يعني ابن القيم في كتابه مدارج السالكين) يريدُ أن تصلَ باستدلالك إلي أعلى درجات العلم وهي البصيره التي تكونُ نسبةُ المعلومِ فيها إلى القلب كنسبةِ المرئِي إلى البصر وقال النبي (ليس الخبرُ كالمعاينه) وهذه هي الخصيصه التي أُختُصَ بها الصحابةُ عن سائر الأمه وهي أعلى درجات العلماء ،

قال تعالـى : " قل هذه سبيلي أدعو على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني ... "

ومن اتبعني ← أي أنا وأتباعي رضي الله تعالـى عنهم وأرضاهم

وقيل (ومن اتبعني) ← عطفٌ على المرفوعِ في أدعو وهو ضمير مستتر تقديره (أنا)

أي أدعو إلى الى الله على بصيرة ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرةٍ وعلى القولينِ فالآيةُ تدُلُ على أن أتباعه هم أهلُ البصائرِ الداعون إلى الله تعالى ومن ليس منهم فليس من أتباعه ، أي من ليس من الداعين فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقه وإن كان يدعي ذلك ، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى .

قــــال الشيخ :-

الإتباع بين الحقيقةِ والادِّعــــــاء ، فلكي تكون من أتباع النبي على التحقيق إنشغل بما انشغل به .

قــال المصنف رحمه الله بعد أن ذكر ما في الباب من أدله :- قال فيه مسائل :

وذكر منها ← التنبيهُ على الإخلاص لأن كثيراً ولو دعى إلى الحقِ فهو يدعو إلى نفسه ومنها (أي مسائل الباب)أن البصيرةَ من الفرائض ،(أي يجبُ عليكَ السعي إلى تحقيق البصيره ، لأنه لا يُنـالُ العلمِ براحةِ الجسمِ كما قال يحيَ بنُ أبي كثير رحمه الله تعالـى وطيب ثراه في مقدمة مسلم) ،

قال ومنها أن من دلائلِ حسن التوحيد أنه تنزيهٌ للهِ تعالى عن المَسَبّه .

تعليقات الشيخ ياسر برهامي :-

قـــــــال في الفضل (فضل الغني الحميد) وهي تعليقات هامه على كتاب التوحيد :

قال : وهذه الآيةُ الكريمه فيها بيانُ جملةٍ من أصول الدعوةِ إلى الله ما أحوَج الدعاةَ إلى الله إلى معرفتها والعملِ بها وإليك بعضَ ما تضمنته هذه الآيه من أصول الدعوةِ الصحيحه ،

أولاً : قوله تعالـــى " قل هذه سبيلي " قال أنظر كيف وحَّـدَ السبيلَ إليه وهو سبيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لأن طريقَ الحقِ واحد لا تفرُقَ فيه ولا إختلاف ،

قـــال الشيخ :-

(وهذا إذا ما قيسَ الحقُ بما يُضاده من الشذوذات والانحرافاتِ والأباطيل لان من الأخطاء الشائعه إستخدام هذا الكلام في غير موضعه ، مثلاً في حالِ قولنا سبيلُ الحق واحد والطريقُ إلى الله واحده وسُبُلِ الأهواء كثيره هذا صحيح عندما نتحدث عن الإسلام والكفر ، وكذلك الحديث عن السُنَّه والبِدعه يكون سبيلُ النبي واحده ، وكذلك الحديث على الحلال البَيّن والحرام البَيّن يكون الحق واحد لا يتعدد ، ولكن في منطقة المشتبهات أو في خلاف التنوع الحقُ يتعدد بتعدد الطرق التي نوعها اللهُ ورسولُه) .

قال لأن طريقَ الحقِ واحدٌ لا تفرق فيه ولا إختلاف بخلاف سُبُلِ الباطل فإنها كثيرةٌ متنوعه على رأسِ كلِ منها شيطانٌ يدعو إليهِ ويقودُ أتباعه إلى النار وهكذا يجبُ أن يكونَ كلُ الدعاةِ إلى الله في طريقٍ واحدٍ ومنهجٍ واحد هو الإسلام الحق ،

قـــال الشيخ :-

(ليس الإسلامُ مجرد إسم وفقط لأن الإشكال أننا نتزاحم على هذا الإسم من خلالِ فِرَقِ الأمَةِ الضَّــاله ، قال النبيُ صلى الله عليه وسلم ستفترق الأمه على ثلاثٍ وسبعين فِرقه كلها في النار إلا واحده ، فكل طائفه من هذا الطوائف المنحرفه يتزاحمون على اسم الإسلام ، وكلٌ منهم له تصور في الإسلام ينسبُهُ إلى نفسه ويتبرأ من ضده) .

قـال والإسلام الحق هو الذي بعثَ اللهُ به رسولَه محمد صلى الله عليه وسلم والذي كان عليه الصحابةُ والسلفُ الأول الذي تتميزُ عن طريقِ البِدَعِ والضلالات التي كَثُرَت وافترقت كما قال صلى الله عليه وسلم لمَّـا سُئِلَ عن الفرقةِ الناجيه قال هي الجماعه وفي لفظٍ (ألا إن من كان قبلكم من أهلِ الكتابِ افترقوا) ، وفي لفظٍ (عليكم بِسُنتي وسُنّةِ الخلفاء) ،

وحديث آخر (عليكم بسُنَّتي وسَنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذِ ، وإياكم ومُحدثاتِ الأمور فإن كلَ مُحدَثةٍ بدعه وكلَ بدعةٍ ضلاله) ،

فأصحاب الحقِ هم أهلُ السُنةِ والجماعه ومنهجهم الواضح لا يجوز أن يفترقَ الناسُ فيه أو أن يبتعدوا عنه ، والتعدد الحاصلُ بسبب الاختلاف في المناهج بين موافقٍ ومخالفٍ لطريقةٍ السلف تعددٌ مذموم (قال الشيخ وهذا تضاد ولا ليس تنوع وتضاد شآذ) ، وشرٌ على الدعوةِ والدعاه وتفرقةٌ للقلوبِ وبثٌ للضغينةِ والحسدِ والغِيبةِ والنميمه ، وإن ما يتحملُ وزر ذلك أهلُ البِدع الذينَ خالفوا سبيلَ الحقِ الواحد ثم على أهلِ السُنّةِ والجماعه في كلِ قُطرٍ من الأقطار بل في كلِ مكان أن يكونوا معـاً في هذه السبيل ،

هكذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمةً واحده وطائفةً واحده متعاونين على البرِ والتقوى كما أمرهم الله ، فما بالُ كثيرٍ من الناس اليومَ يُحَبّذ التفرِقه وهو يعلمُ ما عليه المسلمون من تضيعِ الواجباتِ العينيه والكِفائيه ، ولا شك في عجز الأفرادِ عن القيامِ بهذه الواجباتِ مع تباعدهم وتفرقهم وعدم انتظامهم في سلكٍ واحد ،

ولا تقومُ دَعوةٍ من الدعوات ولا عُلِمَ في سُنَّةِ الله الكونيةِ ولا الشرعيه دعوةً قامت بغيرِ تعاونٍ ووحدةٍ وأتِلاف ، فكيف يَتَسَنّى لأهلِ منهجِ الحقِ أن يتفرقوا ويكونَ غيرهم أحرصِ على الاجتماع منهم .

نسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُألِفَ بين قلوبِ المسلمين .